المناعة — يستخدم الاطباء لقاح الانفلونزا ولكنهُ ينجح في بعض الحوادث ولا ينجح في غيرها

الحجر الصحي — غير لازم ولا يمكن العمل بهِ

التطهير في اثناء المرض — يجب تطهير الفرزات من الفم والحلق والانف وسائر مجاري التنفس

التطهير النهائي — يقوم بتنظيف غرفة المريض تنظيفاً تاماً وتهويتها وترك اشعة الشمس تدخل اليها. والجراثيم المسببة للمرض لا تعيش طويلاً في خارج جسم المريض

الاحتياطات العمومية — يجب على القائمين بخدمة المرضى ان يضعوا كمامات من الشاش على افواههم وانوفهم . وعلى الجمهور في اثناء الامراض الوافدة ان يجتنبوا الازدحام والمجتمعات العمومية ومركبات الاميبوس والترموای ولاسيما المقفلة منها وما شاكل ذلك. ويجب ارشاد الناس الى الخطر الذي ينجم عن السعال والبصق من غير اكتراث لئلا يتطاير رشاشهما فينقل العدوى الى من حولهم اما المصابون بالانفلونزا فيجب وضعهم في غرف دافئة طلقة الهواء بسبب تعرضهم للالتهاب الشعبي الرئوي

الحروب ومنعها وجمعية الامم

وضع داروين نظرية النشوء والارتقاء ليعلل تنوع الاحياء من نبات وحيوان فعورضت نظريتهُ كل المعارضة اذ رأى كثيرون فيها ما يخالف التقاليد المعروفة وينافي كثيراً مما استقر في نفوسهم من الاعتقادات الدينية فقبحوا النظرية وظنوا انها ستكون سبباً لهدم الفضيلة ومحو مكارم الاخلاق

ويذكرنا الاضطهاد الفكري الذي لقيتهُ نظرية داروين اضطهادات كثيرة قبلهُ مست اشخاص العلماء الباحثين في العصور السالفة الاَّ ان تاريخ العلوم يدلنا على ان اضطهاد العلم وان لم يخلُ من تأثير وقتي في تقدمهِ ينتهي دائماً بانتصارهِ . فكتاب داروين « اصل الانواع » اصبح مثالاً للطريقة العلمية في البحث والاستقصاء . واصبحت نظريتهُ من النظريات العامة التي يطبقها علماء الحياة في تعليل نشوء الانواع في عالم النبات والحيوان وعلماء الطبيعة في نشوء الاجرام السماوية بل في نشوء انواع المادة نفسها

وروح هذه النظرية تقرر ان الاشياء في تدرّج من البسائط الى المركبات ومن المتشابهات الى المتباينات. فالحياة يتدفق سيلها من دهر الى دهر ومن عصر الى عصر ويطرأ عليها من التغير والتبدل ما يرافق حالاتها المختلفة فتتنوع وتتفرع وهي بذلك تكبر وترقى حتى نشأ النوع الانساني الذي هو ارقى مظاهرها المعروفة. على ان الذي يوجس خيفة من المستقبل وينظر اليهِ بعين الشك والارتياب يتطيّر عن غير حق فان كان ناموس النشوء والارتقاء من نواميس الطبيعة فلا داعي للتشاؤم. ولكن قد يخفى لاول وهلة انهُ ليس من الضروري ان يكون التقدم مطرداً فنظرية النشوء والارتقاء لا تنفي ان يحدث في حركة التقدم وقوف او رجوع الى الوراء الاّ انها تقرر انهُ يتخلل تلك التغيرات حركة الى الامام

وبين الحياة الانسانية وقانون « القصور الذاتي (١) » في علم الطبيعيات بعض الشبه فالمجتمع الانساني فيهِ خاصية الميل الى الاستمرار على حالتهِ الاصلية بدليل المقاومة التي يقاوم بها المجتمع الانساني كل جديد. وهي ضرورية فالاحتراس من ترك القديم والاخذ بالجديد من الحكمة. والمجتمع الانساني يجب ان يتحرك باحتراس وروية بعد ان يشتد التنازع بين الآراء المتضاربة فيتغلب الاصلح منها. ولربما كان ذلك علة استشهاد كثير من المصلحين في سبيل الاصلاح الذي ينعونهُ فالمصلح الفرد قد يذهب ضحية توازن المجتمع الانساني اجمع وكذلك فان حركة التقدم التي تنص عليها نظرية النشوء والارتقاء مستمرة كاستمرار الجسم المادي في الحركة ما لم يؤثر فيها ما يغيرها

وقد لا تساعد الحالات الحاضرة وان كانت في مجموعها اصلح ما تبقّى بعد التنازع الماضي على استمرار حركة التقدم خصوصاً اذا راعينا ان للمجتمع عامة خاصية المقاومة التي ذكرناها آنفاً فتصبح تلك الحالات من العوامل التي توقف حركة التقدم. ولنستمر على تشبيهنا هذا ونقسم تلك العوامل الى قسمين الاول صدمات فجائية تعتري جسم الاجتماع من جراء الحروب. والثاني قوة مستمرة تقاومهُ كما يقاوم الاحتكاك حركة الجسم المادي وقد تشتد في بعض

(١) يقرر قانون القصور الذاتي (او الاستمرار) ان الجسم المادي يظل قاصراً على حالته الاصلية: فان كان متحركاً يظل متحركاً بسرعة منتظمة في خط مستقيم وان كان ساكناً يظل ساكناً ما لم يؤثر فيه ما يغير حالته

الاحوال وتفضي الى احتراق الجسم نفسهِ وهذا ما ينشأ عن حالة الاجتماع الاقتصادية الحاضرة. ووجود هذه العوامل بقسميها يجعلنا نرتاب في كون العصر الحاضر ارقى من العصور السابقة ويجعل المتطيرين يسترسلون في تشاؤمهم عن مصير العالم الانساني

فالحروب وأهوالها وما تحدثهُ من الخراب والدمار لا يحتاج الى تبيين وكذلك الفقر وامراض الاجتماع كانتشار الاجرام وتفشي الامراض والاوبئة وضعف النسل. ولا يتفق مع العقل ان يرضى الانسان بوجود هذه العوامل المؤخرة. فالقوة العقلية التي نرى ارقى حالاتها في الانسان نشأت كاداة وظيفتها تكييف المحيط بحيث يلائم بقاء الحياة ورقيها ولذلك كان من الواجب على المجتمع الانساني ان ينظر في شؤونهِ بتلك الاداة ويهتدي بواسطتها الى اصلح ما يراهُ من النظامات الاجتماعية والاقتصادية والخلقية التي تجعل الحياة سعيدة وتأخذ بها في سبيل الرقي والتقدم. ولا يجبن امام ما يرادُ من النقائص في اية دائرة من دوائر الحياة الانسانية ويحاول بارادتهِ مستعيناً بما تكسبهُ التجارب من المعرفة ان يتمم ذلك النقص ويزيل من حياتهِ ما يسبب لهُ الشقاء. ولا يعد نفسهُ ازاء تقليد من التقاليد القديمة مهما قدم عهدها اصغر من ان يسبر حقيقة منشإهِ وحكمة الاستمرار عليهِ ويعمل بما تمليهِ عليهِ مصلحتهُ غير آسف على ترك القديم مهما عز ذلك على النفوس

فالحروب مثلاً يجب الا يقف قدمها حائلاً دون العمل في منعها اذا تبين للانسان انها شر عليهِ ولا ينبغي ان يعجز امام ما يجد من الصعوبات في هذا السبيل فيستكين ويحاول ان يبرر استكانتهُ وعجزهُ بما يقولهُ بعض ذوي الغايات من المدح فيها. فاقوال كاقوال برناردي مثلاً من ان الحرب تجلو الامة من صدإ الترف والانهماك في اللذات وتبعث في الافراد عاطفة التضحية وانكار الذات وتبث فيهم روح الشجاعة والاقدام وغير ذلك قد تستر الحقيقة عمن يأخذ بظواهر الكلم ولا يهتم بتفنيدهِ. فخروب القسوة التي تركب في الحروب تنقض ما يود امثال برناردي ان يثبتوهُ من تأثيرها الخلقي في النفوس. والمقاتلون في الحرب لا يرون للحياة قيمة سوى قيمتها الحسية الوقتية فيجدون انفسهم احراراً من القيود الاجتماعية ولا ضمير يردعهم عن منكر يأتونهُ وقد يميل بهم تحمل متاعب الحرب الى التمتع بلذات الحياة بعد ما قاسوهُ من الاهوال والاسترسال في ذلك الى حد المغالاة والتطرف

وان اكبر منية من مصائب الحروب ما يصيب العام الانساني ككائن حي باقٍ فهي قيد من العالم اصلح الكائنات فيه للبقاء والتي كان الاجدر لمصلحة العالم ان يحتفظ بها وبنسلها . ولقد يقال ان تنازع البقاء وبقاء الاصلح ناموسان طبيعيان تسير عليهما الحياة ادناها وارقاها والحرب مظهر ذلك التنازع فهي لازمة من لوازم الحياة لا يستطيع الجنس الانساني التخلص منها . غير ان من شر الغلطات الخطأ في فهم القانون الطبيعي وتحويلهُ الى ما فيهِ شر العالم . فنظرية داروين تتوقف على حقائق ومشاهدات تقرر ان الاحياء تتكاثر بسرعة لا تستطيع معها ان تعيش كلها على السواء فيبقى منها في قيد الحياة ليتناسل ما فيهِ خواص وصفات تناسب الوسط الذي هي فيهِ وهذه الخواص والصفات تنتقل بالوراثة فيتحول النوع بالتدريج الى اصلح ما يوافق هذا الوسط وتتوافر فيهِ الصفات الملائمة لهُ. فهذه الحقائق التي اجلها داروين بقولهِ تنازع البقاء وبقاء الاصلح لا الاقوى لا تتضمن عراكاً مقصوداً تفنى اثناءهُ الضعفاء خصوصاً اذا راعينا ان ناموس تنازع البقاء وبقاء الاصلح لا يقتصر انطباقهما على الاحياء من الحيوان بل يتعداه الى الاحياء من النبات ايضاً حيث لا تمييز ولا ارادة تريد تنازعاً يسبقهُ الاصرار. ونظرية داروين لا تنفي وجود تضامن ينشأ عنهُ تبادل المنفعة بل تقرر ذلك التضامن كحالة صالحة اضطرت اليها الاحوال . فتلقيح النباتات ذوات الازهار بتوسط الحشرات وما يتبادلهُ الاثنان من المنافع اثناء ذلك من امثلة ذلك التضامن

فكرة منع الحروب قديمة وكأن الفائدة العظيمة التي تعود على المجتمع الانساني عند تحقيقها جعلت عقول الناس ترتد كليلة عن البحث فيها لظنهم ان ذلك ابعد من ان يناله الانسان. وكان يكفي ان يقال ان مثل هذه الافكار من الاوهام التي ينقضها ما تراهُ في عالم الحقيقة من مدافع وبنادق وجيوش وحصون واساطيل . الاَّ ان «كانت» (Kant) الفيلسوف الشهير حاول ان يبث تلك الفكرة في العقول وقد جعلها غايةَ حثّ الناس ان يضعوها امامهم ويسعوا اليها ولكنها ظلت من الافكار التي كان يظهر للانسان ان السياسي لا يجرأ على التفوه بها خشية ان يتهم بالوهميات بين غيره من رجال العمل والسياسة حتى سمعنا وسط قصف المدافع وانين القتلى والجرحى رجلاً من اكبر السياسيين ورئيساً لاكبر جمهورية في العالم

ينادي على رؤوس الاشهاد بان ذلك غاية من الغايات التي دخل الحرب لتحقيقها واصبحت بعد ذلك تذكر في خطب السياسيين وبين جدران البرلمانات

ولقد يخطر بالفكر لاول وهلة انهُ يُقصَد بالكلام عن منع الحروب والسلام العام محو قوة الدول الحربية وتشكيل محكمة دولية تكون لها قوة تنفيذية وجيش او شرطة دولية قوية حتى تذعن كل امة طوعاً او كرهاً لاحكامها . الاَّ ان هذا ابعد من ان يتحقق الآن . والوسيلة التي تشغل العقول في الوقت الحاضر لمنع الحروب ان تؤلف جمعية من الامم تكون غايتها توحيد اغراض الامم المختلفة ومصالحها المتضاربة . غير انهُ يحول دون الاخذ بهذه الوسيلة صعوبات عدة ما بين اقتصادية واستعمارية وجنسية وكلها من التعقد بمكان فضلاً عن ان وجود العالم ودوله الكبرى منقسماً قسمين يتنازعان هذا التنازع الهائل يجعل فكرة اتحاد تلك الدول بعيدة أيضاً لان كل حزب منهما يعمل في تعزيز جانبهِ خشية غدر الآخر بهِ . وتظل الدول الصغيرة تتذبذب بين الحزبين طبقاً لمقتضيات الاغراض والمطامع . فتقوى الروح العسكرية بدلاً من ان تضعف تحت ستار المذهب القائل بان الاستعداد للحرب ينفي الحرب حتى تصل المشاكل الدولية الى ازمة اشد من ازمة صيف ١٩١٤ وتفضي الى حرب اهول وافظع . ولا يمكن التغلب على هذه الصعوبات الاَّ اذا اقدمت الدول على التفاهم بحيث تكون كل منهنَّ على استعداد للنظر في كل تغيير او تعديل تقتضيهِ الاحوال في المستقبل . لان التدرُّج سنة الحياة فاذا حاول العالم ان يجمد على حالة واحدة فهو يحاول نقض النواميس الطبيعية فتسير جمعية الامم على مبدإ التطابق والتضامن حتى يبين لكل امة ان في الانضمام اليها ميزة لا تنال بالابتعاد عنها فتنضم لها الامم طوعاً لا قهراً لتضمن مصالحها الاقتصادية والتجارية

ولكن لا يؤمل ان تأليف جمعية الامم يلاشي الحروب من العالم مرة واحدة فالخبيرون(١) بتلك المسائل يرون ان الاختلافات الدولية تنقسم الى قسمين منها ما يتعلق بتفسير نصوص المعاهدات والقوانين الدولية وهذه قلما تفضي الى الحرب ويقترحون ان يبت فيها مجلس دولي . ومنها ما يتعلق بمطامع الدول واغراضها السياسية والاقتصادية وهذه الاختلافات سبب الحروب ويرون ان تعرض على

(١) انظر كتاب "The League of Nations" لمؤلفه H. N. Brailsford.

مجلس صلح يكون غرضهُ التوفيق بينها فتتفق دول الجمعية على عرض اختلافاتها قبل ابتداء الحرب او التصبثة على ذلك المجلس وان لا تكون حالة الحرب الاَّ بعد مضي مدة معينة على اعلان رأي المجلس في ذلك . وللكتَّاب السياسيين في اميركا رأي في هذه المهلة فهم يرون ان بعض الحروب تقدم عليها الدول في حالة تحمس وقتي قد يزول بعد حين وتستطيع الدولتان المختلفتان التفاهم والوصول الى الحلّ المرضي بعد ذلك غير انَّ من الحروب ما تستعد لهُ الدول سنين فضلاً عن ان المهلة قد تزيد التحمس

ويرى الدكتور ولسن ان تكون جمعية الامم على استعداد لتنفيذ ذلك بالقوة ومحاربة كل دولة تعتدي على الاخرى من غير ان تراعي حرمة هذه الاتفاقات . وقد اشار اللورد جراي الى صعوبتين تحولان دون ذلك في الوقت الحاضر الاولى تتعلق بمعاهدات التحالف فقد تحجم الدولة عن الاشتراك في عمل عدائي ضد حليفة تكون المعتدية في المستقبل . والثانية صعوبة موقف الدول الصغيرة خصوصاً بعد ان رأين ما حلَّ بالباجيك ولذلك يكون اتفاق الدول الاَّ تنتصر احداها للاخرى ضد جمعية الامم لازماً وكذلك ان يكون للجمعية لجنة تنفيذية تعين لكل دولة ما تحملهُ من اعباء الحرب العامة وتراعي في ذلك موقف الامم الصغيرة فتحارب بعض الدول حرباً عسكرية والاخرى حرباً اقتصادية حسبما تقتضيهِ الاحوال . ومن رأيهم ايضاً ان تكون اللجنة التنفيذية بصفة دائمة وان يكون لها مركز معلوم وقد يكون اعضاؤها سفراء . واهمية مناصبهم التي يشغلونها قد تجعلهم لا يقلون شأناً ونفوذاً عن الوزراء . ومجلس السلام الذي يحل المشاكل الدولية التي تحدث ويوفق بين المطالب المتناقضة يكون اعضاؤهُ ممثلي الدول التي تنتسب للجمعية . ولكيلا يتعصب كل عضو من اعضائهِ لمصلحة دولتهِ تعصباً يضر بروح التسامح والوئام والمصلحة العامة يرى الخبيرون بتلك المسائل ان تمثل الاحزاب ذات المبادىء المتفقة من الدول المختلفة في مجلس السلام وقد يكون مثل ذلك المجلس اول خطوة يخطوها العالم الانساني في تكوين برلمان دولي عام يعمل للسلام ويصبح منبرهُ كعبة تولى شطرها الوجوه من كل انحاء العالم

هذه خواطر تخطر على العقول عند التفكر في الآمال التي تخالج النفوس السليمة في هذه الاوقات العصيبة وقد لا تتحقق في عصرنا لتمسك اهلهِ بما الفهُ

من الطرق والوسائل النقدمة الاَّ ان في ذلك عدم انتهاز الفرصة التي تساعد على تحقيقها . وليس في تأجيل هذه المسألة الاَّ ترك العوامل التي تفضي الى الحروب اقوى واشد فعلاً . والتدرج سنة الحياة فالعلم سائر ان لم يكن بتأثير هذه الحرب فبتأثير حروب المستقبل نحو هذه الغاية وما حدث من التدرج في الماضي يشير الى ذلك فالانسان رأى منذ عهد نشأته ضرورة التضامن والاجتماع فنبذ التنازع بين الافراد والتأم مع اقاربه وابناء اسرته وكوّن القبيلة فتدرجت الحرب من كونها تنازعاً بين فرد وفرد الى كونها تنازعاً بين قبيلة وقبيلة واصبحت حياة القبيلة عنوان الحياة التي يضحي لاجلها الفرد مصلحتهُ وحياتهُ . ثم التأمت القبائل المتجاورة ونشأت المدنية بدخول تلك القبائل في دور الحضارة فتكونت الامة واصبحت الحرب بين اجزائها تنافي ما تتطلبهُ حياتها من التضامن وصارت مظهراً للتوحش بعد ان كانت مظهر المجد والفخر . ثم التأمت الامم فتكونت الامبراطوريات فصارت الامبراطورية تمثل حياة تكونت من اتحاد ممالك وولايات متجاورة بها قوام كيانها ورقيها . وبتقدم المخترعات وتسهيل طرق المواصلات اخذت اطراف العالم ترتبط بعضها ببعض والمصالح تتوقف بعضها على بعض فخطا العالم بذلك خطوة اخرى نحو التضامن العام وتبادل المنفعة . وقد أتت هذه الحرب فاتسع مدى تلك الخطوة اذ توحدت اغراض الامم المتحالفة ودلت الاتفاقات بينها كاتفاقات مؤتمر باريس وغيرها على ان الارتباط الجديد بين تلك الامم لا يقصد منهُ ان يكون ارتباطاً وقتياً وانما يقصد منهُ ان يستمر الى ما بعد زوال الحرب . واشتراك الامة الاميركية في الحرب يجعلنا نستبشر بان العالم سيخطو سريعاً خطوات اخرى في سبيل السلام العام والتضامن العام فهي امة عظيمة ليست لها علاقة كبرى بمسائل الخلاف والنزاع القائمين بين دول اوربا واشتراكها في الحرب يخوّل لها حق الاشتراك في وضع شروط الصلح . وما دخولها في الحرب الاوربية لتحقيق مبادىء رئيسها الكبير الاَّ فاتحة عهد جديد في تاريخ الانسانية . وهكذا تتدرّج الحياة فكلما رقينا درجة يتسع افق الحياة امام عيوننا فتتجلى لنا رويداً رويداً حياة اتم واسمى هي حياة الانسانية

مصطفى نظيف
B. Sc. Hons.
مدرس بمدرسة طنطا الثانوية